مطاعن المستشرقين في شخصية النبي ﷺ والرد عليها

إعداد الباحثة

أماني بنت جميل الجفري

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

شعبة التفسير وعلوم القرآن

من ٧٣٣ إلى ٧٨٦

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيراً ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي أرسله الله هادياً بإذنه وسراجاً منيراً ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً .

فقد يسر الله تعالى لي بمنه وكرمه أن التحقت بجامعة أم القرى في هذا العام الهجري ١٤٣٧هـ في كلية الدعوة وأصول الدين بقسم الكتاب والسنة بشعبة التفسير وعلوم القرآن في مرحلة الدكتوراة ، كما شرفت في هذا الفصل الدراسي بدراسة مادة " دفاع عن السنة " على يد فضيلة الأستاذ الدكتور : محمد عويضة حفظه الله ، وكان من متطلبات هذا المقرر البحث في جانب من جوانب الدفاع عن السنة ، التي استهدفتها حملات الاستشراق الحاقدة ، كما استهدفت القرآن وكل ما يُرغِّب في الإسلام، وجدير بالذكر أن أنوه إلى أن ما جاء به المستشرقون المتأخرين في هذا العصر هو امتداد لما نسجه المستشرقون القدامى من مفتريات وأباطيل في العصور الوسطى، وهناك من يدعي أن المستشرقين الذين جاءوا في العصر الحديث؛ قد تحرروا من تلك الروح العدائية التي هيمنت على الاستشراق فيما مضى، فالحقيقة غير ذلك؛ فإن مستشرقي اليوم هم مستشرقوا الأمس، وإن الحملات العدائية التي شنها الاستشراق على الإسلام قديماً لا تزال تُشَنُّ على الإسلام اليوم ، وخاصة ما يتعلق بشخص النبي ﷺ ، فكان من أعظم الشرف لي أن تناولت في بحثي هذا جانب الدفاع عن شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم والرد على مطاعن المستشرقين فيه عليه الصلاة والسلام .

أهمية البحث :

تتجلى أهمية البحث كونه على صلة وثيقة بإظهار جانب عظم شخصية النبي ﷺ والدفاع عنها، والتي يمكن بيانها في النقاط الآتية :

١. عظم شخصية النبي ﷺ وتنزيه الله لها عن كل نقص يعتري البشر ، فهو ﷺ أهل لحمل هذه الرسالة وتبليغ دين الله للناس كافة .

٢. تربص أعداء الإسلام بهذا الدين ، وسعيهم الحثيث للتشكيك فيه ، ببث الشبه والمطاعن ، الأمر الذي يوجب على أهل الإسلام وطلبة العلم خاصة الرد عليهم ودحض شبههم .

٣. أن الطعن في شخصية النبي ﷺ هو طعن في رسالة الإسلام وإلماح بأنه غير مؤهل لذلك – حاشاه ﷺ– .

٤. الدفاع عن السنة النبوية المشرفة بالدفاع عن النبي ﷺ ، ورد الشبهات المثارة حوله.

أسباب اختياري للموضوع :

لا يخفى على كل مسلم أن محبة النبي ﷺ من الإيمان ، فقد جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ))[١] ، ومحبة النبي ﷺ تستلزم الدفاع عنه وعن سنته ورد مطاعن أعداء الإسلام فيها ، وهذا من أقوى الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع ، بالإضافة إلى تكليف الأستاذ الفاضل الدكتور محمد عويضة حفظه الله وبارك فيه ، وهذا كبحث تكليفي لمادة " دفاع عن السنة " ، والله المرجو أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن يجزل لشيخنا الفاضل عظيم الأجر والثواب إنه ولي ذلك والقادر عليه .

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) ، كتاب الإيمان ، حب الرسول ﷺ من الإيمان ، حديث رقم (١٤) .

الدراسات السابقة :

من خلال بحثي في الموضوع لم أجد من تناول الموضوع بشكل خاص ، وإنما وجدت من ذكر جوانب من جوانبه خلال كتب قيمة دافعت عن السنة النبوية والسيرة المحمدية من شبهات المستشرقين ومطاعنهم ، ومنها :

١. كتاب " دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره " ، للدكتور عبد الرحمن بدوي .
٢. موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ ، لعلي بن نايف الشحود .
٣. كتاب " الاستشراق وموقفه من السنة النبوية " ، للدكتور فالح بن محمد الصغير .
٤. كتاب " السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون " للدكتور عبد المتعال محمد الجبري، ترجمة محمد عبد العظيم علي ، وهذا الكتاب نقد لكتاب " حياة محمد " للمستشرق الفرنسي كلود سفاري (ت١٧٨٨م) .
٥. كتاب " السيرة النبوية وأوهام المستشرقين " ، للدكتور عبد المتعال محمد الجبري .
٦. كتاب " الاستشراق في السيرة النبوية " ، لعبد الله محمد الأمين النعيمي .

مشكلة البحث :

- كيف كانت شخصية النبي ﷺ قبل الرسالة ؟
- كيف وصف الله تعالى النبي ﷺ في القرآن ؟
- كيف أثنى على النبي ﷺ أعداؤه من المشركين ؟
- لماذا ندافع عن شخص النبي ﷺ ؟
- كيف ندافع عن النبي ﷺ ؟
- هل شخصية النبي ﷺ غير البشر ؟
- هل شخصية النبي ﷺ ملائكية ؟

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى أمور من أهمها الآتي :

- تنزيه شخص النبي ﷺ عن مطاعن المستشرقين .
- نفي دعاوى المستشرقين الحاقدة في شخص النبي ﷺ .
- إثبات أن شخصية النبي ﷺ هي أفضل شخصية على مر التاريخ .
- إثبات أن النبي ﷺ بشر اصطفاه الله لرسالته وأكرم الناس ببعثته .
- الدفاع عن دين الله الإسلام من خلال الدفاع عن نبيه محمد ﷺ .

منهجية في البحث:

أتبع بإذن الله تعالى في بحثي هذا المنهج التحليلي النقدي وفق الخطوات الآتية :

١. ذكر مطاعن المستشرقين وعزوها إلى قائليها إن أمكن.
٢. تحليل شبههم وذكر وجه استدلالهم على دعواهم.
٣. الرد النقلي والعقلي على مطاعن المستشرقين.
٤. مراعاة الخطوات الإجرائية للبحث العلمي المتمثلة في الآتي:

- كتابة الآيات بالرسم العثماني مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث.
- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية ، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بعزوه له ، وإن كان في غيرها أذكر حكم علماء الجرح والتعديل عليه .
- كتابة لفظ الصلاة على النبي ﷺ وإدراجها ضمن أقوال المستشرقين إكراماً له عليه السلام ، حتى وإن لم يذكروها هم .
- عزو المعلومات لمصادرها الأصلية، فإن اقتبست نصاً أضعه بين قوسين ( )، وإن اقتبست بتصرف لم أضع الأقواس وأكتفي بذكر المرجع في الحاشية .
- أكتفي بذكر تاريخ الوفاة بجانب أسماء الأعلام دون الترجمة لها .

- وضع فهارس عامة للبحث ، واكتفيت بفهرس الموضوعات وفهرس المصادر والمراجع .

خطة البحث :

يحتوي هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس .

المقدمة : وتشتمل على أهمية الموضوع ، ومشكلة البحث، وأهدافه ، ومنهجي فيه ، وخطة البحث .

المبحث الأول : النبي محمد ﷺ خير البشر قبل الإسلام وبعده ، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول : ثناء القرآن على شخصية النبي ﷺ .
- المطلب الثاني : شخصية النبي ﷺ قبل البعثة .
- المطلب الثالث : شهادة أعداء الإسلام على عظم شخصية النبي ﷺ .

المبحث الثاني : مطاعن المستشرقين في شخص النبي ﷺ ، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : دعوى إصابته عليه الصلاة والسلام بالصرع حاشاه ﷺ ، والرد عليها .
- المطلب الثاني : دعوى انشغاله ﷺ بالنساء ، والرد عليها ، وفيه فرعان :
  - الفرع الأول : مسألة عدد زوجاته ﷺ .
  - الفرع الثاني : زواجه ﷺ بعائشة رضي الله عنها وهي صغيرة السن .
- المطلب الثالث : دعوى نفي الأمية عنه ﷺ ، والرد عليها .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس العامة : واحتوت على فهرس الموضوعات ، وفهرس المصادر والمراجع .

والله تعالى أسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه ، ويستعملني لخدمة دينه والدفاع عنه إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

المبحث الأول

النبي محمد ﷺ خير البشر قبل الإسلام وبعده ، وفيه ثلاثة مطالب

- المطلب الأول : ثناء القرآن على شخصية النبي ﷺ .
- المطلب الثاني : شخصية النبي ﷺ قبل البعثة .
- المطلب الثالث : شهادة أعداء الإسلام على عظم شخصية النبي ﷺ .

المطلب الأول : ثناء القرآن على شخصية النبي ﷺ

أثنى الله تعالى على نبيه محمد ﷺ في كتابه الكريم ثناء يقصر عنده كل ثناء ، وحسبه ﷺ من ذلك أن يأتي مدحه من الله عز وجل في الكتاب مسطوراً

مَـــدَحَتْكَ آيَـــاتُ الكِتَـــابِ فَمَـــا عَسَـــى   يُثْنِـــي عَلَـــى عَـــلْيَاكَ نَـــظْمُ مَـــدِيْحِي

وَإِذَا كِتـــــابُ اللهِ أَثْنَـــــى مُـفْصِحَـــــاً   كَـــانَ القُصُـــورُ قَصَـــارُ كُـــلِّ فَصِـــيْحِ[١]

والمتأمل في هذا الجانب – أعني مدح الله تعالى لنبيه ﷺ في القرآن الكريم – ليجد أن الله تعالى أثنى على نبيه محمد ﷺ في مقامات عديدة وبمزايا جليلة ، وأُقَدِّم في هذا المطلب – بإذن الله – بعض هذه المقامات التي امتدح الله فيها نبيه ﷺ ، وهي متمثلة في النقاط الآتية :

- مدح الله نبيه ﷺ في ثنايا كتابه الكريم بأجل مدح وأعظم ثناء ، ووصفه بأرفع الأخلاق وأسماها وأجملها وأزكاها ، فقال عنه : "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

---

(١) قاله الشاعر لسان الدين الخطيب السليماني (ت١٣١٣هـ) ، ديوان لسان الدين ابن الخطيب (ص:٩٩) .

عَظِيمٍ ﴿٤﴾" القلم:٤ ، والخُلُق هو : ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة[١] ، واتجهت أقوال طائفة من المفسرين في الآية إلى أن هذا المدح نتيجة الأخلاق الظاهرة منه ﷺ المشاهدة عليه في أفعاله وأقواله ، فقد قال الرازي – رحمه الله – (ت٦٠٦هـ) : (ذلك أن الأخلاق الحميدة والأفعال المرضية كانت ظاهرة منه ﷺ ... ولما كانت أخلاقه الحميد كاملة لا جرم ، وصفها الله بأنها عظيمة، ولهذا قال : "قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾" ص:٨٦، أي : لست متكلفاً فيما يظهر لكم من أخلاقي ؛ لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلاً بل يرجع إلى الطبع)[٢]، ولم يُذكر خلُق محمود إلا وللنبي ﷺ الحظ الأوفر[٣]، واتجهت الطائفة الأخرى أن هذا المدح لأخلاقه المتمثلة في تطبيقه لآداب القرآن، ومنهم الطبري – رحمه الله – (ت٣١٠هـ) حيث قال : (وذلك أدب القرآن الذي أدّبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه)[٤]، ومن ذلك وصف عائشة – رضي الله عنها – لخلُقه ﷺ ، فقد جاء في الحديث أن سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ – رضي الله عنها– فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَتْ: ((كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ))[٥]، قال المناوي – رحمه الله – (ت١٠١٣هـ) : (أي : خُلُقُه كان جميع ما حصل في القرآن ،

---

(١) مفاتيح الغيب (٣٠/ ٦٠١) .

(٢) مفاتيح الغيب (٣٠/ ٦٠١) ، وينظر : النكت والعيون (٦١/٦) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢١٧/١٨) .

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢٨) .

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤٢/ ١٨٣) ، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما ، حديث رقم (٢٥٣٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، حديث رقم (٤٨١١) .

فإنَّ كل ما استحسنه وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحلى به ، وكل ما استهجنه ونهى عنه تجنبه وتخلى عنه ، فكان القرآن بيان خلقه)[١].

- مدح الله تعالى نبيه ﷺ بسلامة عقله من الجنون أو تلبس الشياطين، وقد كان المشركون يتهمونه بالجنون وقال الله تعالى عنهم : "وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾" الحجر :٦، فرد الله عليهم وبرَّأ نبيه عليه السلام ، وأقسم سبحانه بالنون والقلم وما يُكتب من أعمال ثم قال : "مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾" القلم:٢ ، قال البغوي – رحمه الله – (ت٥١٠هـ) : (هذا جواب القسم أي : إنك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة ، وقيل: بعصمة ربك)[٢] ، فهو ﷺ بريء من الجنون ، متلبس بنعمة الله التي هي النبوة والرسالة التي بعثه بها ربه عز وجل ، قال أبو السعود – رحمه الله – (ت٨٩٨هـ): (والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال ، مع الإضافة إلى ضميره ﷺ لتشريفه ﷺ والإيذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ، ويبلغه من العلو إلى غاية لا غاية وراءها، والمراد تنزيهه ﷺ عما كانوا ينسبونه إليه من الجنون حسداً وعداوةً ومكابرةً مع جزمهم بأنه ﷺ في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصانة العقل ورزانة الرأي)[٣]، وقد نفى الله عز وجل عن نبه هذا الافتراء في عدة مواضع من القرآن الكريم، كما قال سبحانه: "قُلۡ إِنَّمَآ

(١) فيض القدير (٥/ ١٧٠) .

(٢) معالم التنزيل (٥/ ١٣٠) ، وينظر : المحرر الوجيز (٥/٣٤٦) ، البحر المحيط (١٠/٢٣٥) .

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ١١) .

أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ " سبأ:٤٦، أي : كيف تنسبونه إلى الجنون وعند الإفاقة من تلك الغشية يأتيهم بحكمة، وموعظة يعجز حكماء الجن والإنس عن إتيان مثله، وليس ذلك من علم المجانين، ولا مما يمكن تحصيله في حال الجنون؛ لأن المجنون إذا أفاق من غشيته، تكلم بكلام لا يعبأ بمثله ولا يكترث له فما استنكروه عليه ما هو إلا تبليغه لرسالة ربه عز وجل "إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾" سبأ:٤٦ .

- كما امتدح الله تعال نبيه ﷺ بالنسب الشريف فقال : "لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾" التوبة :١٢٨ ، فنسبه لهم بقوله : "مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ" للدلالة على شريف نسبه الطاهر ﷺ ، وقد قال بهذا التأويل جماعة من المفسرين منهم ابن عطية – رحمه الله – (ت٥٤٢هـ) حيث قال: وقوله: "مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ " يقتضي مدحاً لنسب النبي ﷺ وأنه من صميم العرب وشرفها ، وينظر إلى هذا المعنى قوله ﷺ : ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى

مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ))(١)(٢)، وجمع له سبحانه وتعالى في هذه الآية من الصفات الحميدة ما لم يتصف بها غيره ﷺ فقال عنه "بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ"، ونقل ابن الجوزي – رحمه الله – (ت٥٩٧هـ) عن ابن عباس رضي الله عنه قال : سماه باسمين من أسمائه(٣)، وقد قال الله تعال عن نفسه "إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧" التوبة:١١٧.

- ومن مدح الله تعالى لنبيه ﷺ والثناء عليه أن رفع له ذكره عليه الصلاة والسلام وذلك مما امتن الله به عليه في سورة الانشراح حين قال : "أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤" الانشراح:١-٤، قال الطبري – رحمه الله – (ت٣١٠هـ) : "وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ" فلا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي، وذلك قول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله)(٤)، وفسَّر أبو السعود – رحمه الله – قوله عز وجل "وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ" بعنوان النبوة وأحكامها ، حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة ، وجعل طاعة رسوله ﷺ طاعته سبحانه تعالى "وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٢) ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، حديث رقم (٢٢٧٦) .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٠٠) .

(٣) زاد المسير (٢/٣١٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٤)، وينظر : بحر العلوم (٣/٥٩٤)، تفسير ابن كثير (٨/٤٣٠) .

وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ" المائدة:٩٢، وصلى عليه هو وملائكته ، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه "إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾" الأحزاب:٥٦ ، وسُمي رسول الله "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ" الأحزاب: ٤٠، ونبي الله [(١)].

ومدْح الله تعالى لنبيه ﷺ مبثوث في آيات القرآن الكريم لا يعرفه إلا من تعبَّد الله به وفهمه وعمل به، فمدحه عليه السلام منهج قرآني، وما ذاك إلا لعظم شأنه عليه السلام ومكانته من ربه عز وجل، ولا يسعني توفيته حقه ﷺ من المدح والبيان في هذا المقام الضيق، واكتفيت بالإشارة إلى ذلك وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

المطلب الثاني : شخصية النبي ﷺ قبل البعثة

عاش النبي ﷺ حياته قبل البعثة متصفاً بأجمل الخصال، وأكرم الأخلاق، ولم يكن عليه الصلاة والسلام في حياته تلك كغيره من البشر، بل كان متميزاً عنهم بأشياء كثيرة فضَّله الله وخصه بها، واقتضت حكمة الله سبحانه أن يعصم نبيه ﷺ من كل رذيلة وسوء حتى يكون مؤهلاً لحمل رسالة ربه وتبليغها، قال الحافظ صلاح الدين العلائي – رحمه الله – (ت٧٦١هـ): (وقد حماه الله تعالى قبل النبوة من كثير من الأشياء المباحة التي تنقص من منصب متعاطيها)[(٢)] ، ومما يشهد لذلك :

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ١٧٣) .

(٢) الفتاوى المُستغربة (ص/٧٦) .

- ما رواه أحمد – رحمه الله – (ت١٤٢هـ) عن عروة بن هشام عن أبيه قال : حَدَّثَنِي جَارٌ لِخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ – رضي الله عنها – أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لِخَدِيجَةَ – رضي الله عنها–: ((أَيْ خَدِيجَةُ، وَاللهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ ، وَاللهِ لَا أَعْبُدُ الْعُزَّى أَبَدًا " قَالَ: فَتَقُولُ خَدِيجَةُ: خَلِّ اللَّاتَ، خَلِّ الْعُزَّى، قَالَ: كَانَتْ صَنَمَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ ثُمَّ يَضْطَجِعُونَ))[١] .
- أنه كان ﷺ لا يأكل ما ذُبح على النصب ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ[٢] ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سُفْرَةٌ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ : إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ ، وَلاَ آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ المَاءَ ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ ، إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ))[٣].
- ومن حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ أنه لم يظهر عرياناً ، أو تُكشف عورته عليه السلام ، فقد جاء في الحديث عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ((لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَبَّاسٌ ﷺ يَنْقُلاَنِ الحِجَارَةَ، فَقَالَ العَبَّاسُ

---

(١) مسند أحمد (٢٩/ ٤٦٧) ، مسند الشاميين ، حديث جار لخديجة رضي الله عنها ، حديث رقم (١٧٩٤٧) ، قال المحقق شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير جار خديجة فلم يرو له غير المصنف هذا الحديث الواحد، وهو صحابي، وجهالته لا تضر) .

(٢) بلدح بسكون اللام وبالحاء المهملة : واد غربي مكة جهة التنعيم ، لبني فزارة . ينظر : فتح الباري لابن حجر (١/ ٨٩)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/١٧١) .

(٣) صحيح البخاري (٥/ ٤٠) ، كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، حديث رقم (٣٨٢٦) .

لِلنَّبِيِّ ﷺ : اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ، فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ((أَرِنِي إِزَارِي)) فَشَدَّهُ عَلَيْهِ)) [1].

- وقد حفظه الله تعالى في شبابه من نزعات الشباب ودواعي الرذيلة ، فعن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَا هَمَمْتُ بِمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهُمُّونَ بِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلَاهُمَا يَعْصِمُنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمَا ، قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتًى كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَعْلَى مَكَّةَ فِي أغنامٍ لِأَهْلِهَا تَرْعَى : أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا تَسْمُرُ الْفِتْيَانُ ، قَالَ: نَعَمْ فَخَرَجْتُ فَلَمَّا جِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غَنَاءً وَصَوْتَ دُفُوفٍ وَزَمْرٍ فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَلَهَوْتُ بِذَلِكِ الْغِنَاءِ وَالصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ فَرَجَعْتُ فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي مِثْلَ مَا قِيلَ لِي فَلَهَوْتُ بِمَا سَمِعْتُ وَغَلَبَتْنِي عَيْنِي فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: ((مَا فَعَلْتُ شَيْئًا)) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((فَوَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا أَبَدًا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِنُبُوَّتِهِ))[2] .

واقتضت حكمة الله أن يكون نبيه محمد ﷺ بشراً متمتعاً بخصائص البشرية كلها غير أن الله سبحانه عصمه من كل رذيلة وسوء قبل البعثة وبعدها ، فكان مؤهلاً لحمل رسالة ربه ، وتبليغها للناس كما يحب ربه ويرضى ، قال ابن هشام – رحمه الله – (ت٢١٣هـ) : (فشب رسول الله ﷺ ، والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلا، وأفضل قومه مروءة،

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ١٤٦) ، كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها ، حديث رقم (١٥٨٢) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٢٧٣) ، وقال : (صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه) وافقه الذهبي في التلخيص، حديث رقم (٧٦١٩) .

وأحسنهم خلقا، وأكرمهم حسبا، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال، تنزها وتكرما، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة)[١].

المطلب الثالث : شهادة أعداء الإسلام على عظم شخصية النبي ﷺ

اتصف نبينا محمد ﷺ بأعظم الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة التي شاهدها عليه القاصد والداني ، ومن عظم أخلاقه ﷺ أن شهد له أعداءه بعظم شخصيته عليه السلام في القديم والحديث ، واخترت في هذا المطلب أن أعرض بعضاً من شهادة أعدائه ﷺ له – ومنهم من أسلم – بعظيم الأخلاق في الجاهلية، وبعض شهادة المستشرقين في هذا الزمن، ومن ذلك:

أولاً : شهادة أعداء رسول الله في الجاهلية – ومنهم من أسلم – :

- شهادة أبي سفيان ﷺ بين يدي هرقل على صفات النبي ﷺ الكريمة ، كما جاء في الحديث أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ : أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي المُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ[٢] فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ[٣]، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا ، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي ، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنْ

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٨٣) .

(٢) مادَّ بتشديد الدال : أي جعل بينه وبينه مدة زمنية للصلح ، وقد صالح النبي ﷺ المشركين عام الحديبية عشر سنين. ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٠٩/٤) ، فتح الباري (١٨٦/١) ، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٤/١) .

(٣) إِيلْيَاء : بكسر أوله واللام وياء ، وألف ممدودة : اسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت الله . معجم البلدان (١/ ٢٩٣) .

كَذَبَنِي فكَذِّبُوهُ – فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ – ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ : فَهَلْ قَالَ هَذَا القَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ ؟ قُلْتُ : لاَ ، قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ قُلْتُ : لاَ ، قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ فَقُلْتُ : بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ ، قَالَ : أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ قُلْتُ : بَلْ يَزِيدُونَ ، قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ قُلْتُ: لاَ ، قَالَ : فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ قُلْتُ : لاَ ، قَالَ : فَهَلْ يَغْدِرُ ؟ قُلْتُ : لاَ ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا ، – قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الكَلِمَةِ – قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ : الحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ ....))[١] الحديث .

- شهادة السائب المخزومي ﷺ بحسن خلق النبي ﷺ حين كان شريكه في الجاهلية ، ففي الحديث عَنِ السَّائِبِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيَّ وَيَذْكُرُونِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((أَنَا أَعْلَمُكُمْ)) يَعْنِي بِهِ ، قُلْتُ : صَدَقْتَ – بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي – كُنْتَ شَرِيكِي فَنِعْمَ الشَّرِيكُ، كُنْتَ لَا تُدَارِي ، وَلَا تُمَارِي))[٢].

ولقد عجب المستشرقون أشد العجب حين لم يجدوا في شخصية النبي ﷺ ما يعيبها – وقد كانت عادة الكثير منهم تلمس أخطاء العظماء والقدح فيها

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٨) ، كتاب بدء الوحي ، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٧) .

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٦٠) ، باب في كراهية المراء ، حديث رقم (٤٨٣٦) ، وقال الألباني : صحيح .

– فمنهم من تعامل مع هذا الأمر بإنصاف فأظهر جانب التفوق في شخصيته عليه السلام ومنهم:

- شهادة المؤرخ وليم موير (ت١٨١٩م) في كتابه حياة محمد حيث قال: (ومهما يكن هناك من أمر فإن محمد ﷺ أسمى من أن ينتهي إليه الواصف ، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد ذلك التاريخ الذي ترك محمداً ﷺ في طليعة الرسل ومفكري العالم) [١]، كما يقول: (لقد امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه ، وقد أتم من الأعمال ما يُدهش العقول ، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نبي الإسلام محمد)[٢].
- المستشرق الألماني بارتلي سانت هيلر (ت١٨٨٤م) الذي وصف النبي ﷺ بأنه : (أكثر عرب أهل زمانه ذكاءً وأشدهم تديناً ، وأعظمهم رأفة ، وأن الدين الذي دعا النماس إلى اعتقاده كان جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته)[٣].
- المستشرق الفرنسي ارنست رينان (ت١٨٩٢م) الذي دافع عن شخصية النبي ﷺ من افتراءات المستشرق فولتير على الرسول ﷺ حيث قال في كتابه الأخير : (دلتني تجربتي العلمية والتاريخية أنه لا صحة لما أريد إلصاقه بالنبي محمد ﷺ من كذب وافتراء مصدره بعض العادات القومية التي أراد بعض المتحاملين كفولتير أن يتوجهوا بها إلى الناحية التي تشفي سقام ذهنيتهم الوقحة وتعصبهم الذميم ، كقوله : إنه يميل إلى التسيُّد والسيطرة ،

---

(١) نقله عنه الدكتور عبد الله الشارف في مدونته الالكترونية **/http://www.charef.net**، عن كتاب حياة محمد (ص: ٢٠) .

(٢) نقله عنه الدكتور عبد الله الشارف في مدونته الالكترونية **http://www.charef.net**، عن كتاب حياة محمد (ص: ٣١) .

(٣) نقله عنه الأستاذ نذير حمدان ، في كتابه : الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ، (ص: ٢٤) .

مع أن محمداً ﷺ – كما أثبتت الوقائع التاريخية وشهادات أكابر علماء التاريخ –كان على العكس من ذلك)[١].

- كما شهد المستشرق الفرنسي إميل درمنغم (معاصر) على طهارة الحياة الأسرية في ظل دعوة النبي محمد ﷺ حيث قال : (كان للدعوة المحمدية في جزيرة العرب أثر عظيم ثابت في تقدم الأسرة والمجتمع ، فحرَّم الزنا والمتعة وحياة الغرام ، ومنع إكراه القيان على البغاء لإثراء سادتهن)[٢] ، كما يقول : (كان محمد ﷺ أنمذجاً للحياة الإنسانية بسيرته وصدق إيمانه ، ورسوخ عقيدته القويمة ، بل مثالاً كاملاً للأمانة والاستقامة ، وإن تضحياته في سبيل بث رسالته الإلهية خير دليل على سمو ذاته ونبل مقصده وعظمة شخصيته ،وقدسية نبوته)[٣] .
- ويقول الأديب الإنجليزي جونس أوركس (معاصر): (لم نعلم أن محمداً – نبي الإسلام – ﷺ تسربل بأي رذيلة مدة حياته)[٤] .

وإن الناظر فيما ذُكر في المطالب السابقة يتبين عظم شخصية النبي الكريم ﷺ ، وعظيم خُلُقه وكريم خصاله ، ويجد أن الله تعالى اصطفاه اصطفاءً لحمل رسالته ، وجعله بشراً في أكمل الصفات البشرية ، وأعطاه من الصفات ما يفوق غيره من البشر ؛ ليكون النبي الخاتم المؤهل لحمل رسالة الله عز وجل ، وتبليغها للإنس والجن سواء ، وتبقى رسالته خالدة إلى قيام الساعة .

---

(١) نقله عنه الأستاذ نذير حمدان ، في كتابه : الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ، (ص:٢٦) .
(٢) نقله عنه الأستاذ نذير حمدان ، في كتابه : الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ، (ص:٢٦) .
(٣) نقله عنه الأستاذ حسين معدي ، في كتابه : الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة (ص: ٧٨) .
(٤) نقله عنه الأستاذ : علي بن نايف الشحود ، في موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ (٢/٢٠٦).

المبحث الثاني

مطاعن المستشرقين في شخص النبي ﷺ ، وفيه ثلاثة مطالب

تمهيد :

إن الطعن في شخص النبي ﷺ هو طعن في الدين الذي جاء به عليه الصلاة والسلام ، وقد كانت مطاعن المستشرقين في شخصية النبي ﷺ لتصوير أنه عليه السلام غير مؤهل لحمل الرسالة وتبليغها ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، ومن شبههم التي أثاروها للطعن في شخصية النبي ﷺ ما يلي :

المطلب الأول : فِرية إصابته عليه الصلاة والسلام بالصرع حاشاه ﷺ ، والرد عليها .

أولاً : عرض الشبهة

افترى المستشرقون فِرية إصابة النبي ﷺ بالصرع – حاشاه ﷺ – ، والصرع هو حالة مرضية يتصف المصاب بها بعدم التوازن العقلي ، ودعواهم هذه للتشكيك في صحة ما جاء به عليه السلام من دعوى النبوة والدعوة لتوحيد الله عز وجل ، وقد تلقفوا هذه الشبهة ممن سبقهم في العداء لرسول الله ﷺ من المشركين حين اتهموه ﷺ بالجنون ، وبأنه ساحر .

دليلهم : استند المستشرقون في دعواهم هذه إلى حالين :

الأولى : ادعاء أن الخوف الذي أصاب النبي ﷺ عند بدء نزول الوحي هو حالة من الصرع ، إلى جانب وصف حاله وقت نزول الوحي عليه ﷺ ، وممن قال بذلك المستشرق " هنري ماسيه " (ت:١٩٦٩م) فقال : (ووفقاً للتقاليد فإن محمداً ﷺ تلقى في بادئ الأمر نوعاً من الدوي فصار كأنه مصاب بالحمى، وشحب لونه وارتجف وتدثر بدثار ، وهناك بعض المؤرخين – والبيزنطيين منهم على الخصوص – تحدثوا عن الصرع الذي يمكن أن يكون محمد ﷺ مصاباً به ، ومن المعلوم في القرون الوسطى في الشرق كما في الغرب أن هؤلاء المرضى كانوا يتخيلون كأن روحاً تمتلكهم

، وقد أصبحت النوبات عند محمد ﷺ مألوفة كثيراً منذ ابتداء الوحي الأول الذي حدث في شهر رمضان)[١].

الثانية : ادعاؤهم أنه ﷺ كان تأتيه حالة الصرع من قبل البعثة ، وأن خديجة –رضي الله عنها–خشيت عليه وأرادت عرضه على مشعوذ يعالجه ، ثم استمرت معه هذه الحالة بعد البعثة ، وممن قال بذلك المستشرق واشنجتون آفنج (ت:١٨٥٩م) في كتابه " حياة محمد " ، في مسألة : " تَعرُّض محمد ﷺ لحالات من الصرع " : (وهي المسألة التي يثيرها خصومه من الكتاب المسيحيين ويبدو أن بعض المؤرخين المسلمين القدامى قد أيدوها ، فذهبوا إلى أن محمداً ﷺكان يصاب برعدة عنيفة ، ثم بنوع من الإغماء ، أو التشنجات ، وفي خلال ذلك ينحدر من جبهته سيل من العرق البارد، وذكروا أنه كان يرقد وعيناه مغلقتان ، وكانت زوجته عائشة ومولاه زيد ممن وصفوا هذه الحالة ، وقد انتشر الزبد حول فمه وقت نزول الوحي عليه ، وقد انتابته هذه الحالة عدة مرات في مكة قبل نزول القرآن وخافت خديجة عليه إذ ظنت أنها نتيجة تأثير الأرواح الشريرة، وأرادت استدعاء أحد المشعوذين ليفحصه ، ولكن محمداً ﷺ نهاها عن ذلك ، فكان لا يحب أن يراه أحد خلال هذه النوبات)[٢] .

ثانياً : الرد على الشبهة:

يُرد على هذه الشبهة من عدة جوانب ، ويمكن بيانها كالآتي :

١. أن النبي ﷺ عاش زمناً في قومه قبل بدء الوحي ولم تكن تنتابه حالات صرع أو مرض أو غيره ، بل كان يُعرف برجاحة عقله وذكائه وفطنته ﷺ ، ويمتاز بسرعة بديهته ﷺ في حل المشاكلات التي عجز عن حلِّها أكابر القبائل وعظماؤها ؛ كحله للنزاع بين قبائل قريش في وضع الحجر الأسود بعد بناء

---

(١) نقله عنه د. علي علي شاهين ، في كتاب : دراسات في الاستشراق ورد شبهة المستشرقين حول الإسلام (ص: ١٢٤–١٢٥) .

(٢) نقله عنه د. علي علي شاهين ، في كتاب : دراسات في الاستشراق ورد شبهة المستشرقين حول الإسلام (ص: ١٢٤–١٢٥) .

الكعبة فعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : ((لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَرْفَعُوا الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ اخْتَصَمُوا فِيهِ، فَقَالُوا: يَحْكُمُ بَيْنَنَا أَوَّلُ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ السِّكَّةِ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ، فَقَضَى بَيْنَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي مِرْطٍ[١]، ثُمَّ تَرْفَعَهُ جَمِيعُ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا))[٢] ، كما استمرت فطنته ﷺ وحكمته في حل المنازعات حتى بعد بعثته ، وبعد هجرته إلى المدينة ، ويتجلى ذلك حين آخى عليه السلام بين المهاجرين والأنصار ، كما شهد له ﷺ التاريخ بسرعة إقامته للحجة على المعرضين وقطع شغبهم وجدلهم بالباطل[٣].

٢. أن بدء نزول الوحي على النبي ﷺ وحالة الرَّوع الذي أصابته ثابتة في صحيح السنة ، وليس فيها ما يدل على أنها حالة مرضيَّة ، وإنما ما يصيب الناس من فزع ، أو خوف من أمر خارج عن المألوف ، ففي الحديث عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: ((أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: ((مَا أَنَا بِقَارِئٍ))، قَالَ: ((فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ

---

(١) المرط : رداء من صوف أو كتان ، ينظر : العين (٤٢٧/٧) ، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣١٩/٤) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١١) ، كتاب أقضية رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٢٩٠٨٤) ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٥٢/٥) ، حديث رقم (٣٧٠٤) ،وذكره المقدسي في الأحاديث المختارة وقال : (إسناده حسن)، (٦٣/٢) ، حديث رقم (٤٣٩) .

(٣) ينظر : رد الشبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة (ص/٩٦) .

أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: "ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣" العلق: ١-٣، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فَقَالَ: ((زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي)) فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: ((لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)) فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ))، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ))(١)، والمتأمل في الحديث يظهر له أن هذه الحالة التي أصابت النبي ﷺ هي من الفزع الذي أصابه عليه السلام .

٣. أن النبي ﷺ كان يتنزل عليه الوحي بطرق مختلفة ثابتة صحيحة ، فقد روى البخاري – رحمه الله – أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ ﷺ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٧) ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٣) .

صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ)) قَالَتْ عَائِشَةُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا[١].

٤. أن الحالات التي كان يتنزل بها الوحي على النبي ﷺ لا تشبه الصرع أو المرض بشكل من الأشكال ، لأن الصرع إذا أصاب إنساناً تحدث له أعراض مؤقته مثل فقدان الوعي والإدراك ، واضطراب في الحركة وعدم المقدرة على النطق ، وليست هذه الأعراض التي كانت تصيب النبي ﷺ عند نزول الوحي ، كما أنه كان ﷺ يأتيهم بأفصح الكلام عندما يُفصم عنه الوحي .

٥. قولهم بأن النبي ﷺ قد انتابته هذه الحالة عدة مرات قبل نزول القرآن عليه مردود ومنافٍ للصحة ، فلم يذكر المؤرخون قط مثل هذه الافتراءات على النبي ﷺ ، ولا حتى من أعدائه الذين عاصروه وكفروا بما جاء به وقت البعثة ، بل إن الثابت أن النبي ﷺ أول ما بُدِئ به الوحي الرؤيا الصالحة ، وسبق ذكره في حديث عائشة رضي الله عنها: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ ... الحديث"[٢] ، فلم يسبقه شيء مما ادعى هؤلاء ، فقولهم هذا باطل .

٦. الرد على قولهم : (وخافت خديجة عليه إذ ظنت أنها نتيجة تأثير الأرواح الشريرة ، وأرادت استدعاء أحد المشعوذين ليفحصه) ، أن الأمة الإسلامية

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٦) ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٢) .

(٢) سبق تخريجه (ص:١٩–٢٠) .

مجمعة على عصمة النبي ﷺ من تسلط الشياطين عليه ، فقد قال القاضي عياض – رحمه الله– : (واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان ، وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى كالجنون والإغماء ، ولا على خاطره بالوسواس)[١] ، كما أن خديجة – رضي الله عنها – لم تخف عليه بل شدَّت من أزره وواسته وقالت له: (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ) ، وأخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل – وليس مشعوذاً كما يدعون – لأنه كان على علم بالإنجيل ودين أهل الكتاب ، فبشره بأن الذي أصابه هو الناموس الذي بشَّر به موسى عليه السلام .

٧. يردُّ على هذه الشبهة بشهادة المستشرقين أنفسهم بسمو اللفظ القرآني ، وعجز البشرية جميعها على الإتيان بمثله ، فكيف يُمكن اتهام النبي ﷺ بالصرع – حاشاه عليه السلام – وهو يأتي بمثل هذا القول الذي لا يستطيعه البشر ، وممن شهد بذلك الكونت هنري دي كاستري (ت١٩٢٧م) في كتابه " الإسلام سوانح وخواطر " حيث قال : (والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي ، وقد اعترف الشرق قاطبة بانها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى)[٢] ، وتؤيده الدكتورة لورا فيشيا (ت١٩٨٩م) على مصدر القرآن الإلهي النص فتقول : (ولا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي في هذه الحقيقة هو أن نصه ظل صافياً غير محرف ، طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا)[٣].

---

(١) الشفا (٢/١١٧) ، وينظر : شرحه للملا علي (٢/٢١٣) .

(٢) نقله عنه الأستاذ نذير حمدان ، في كتابه : الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين (ص:٢٨) .

(٣) نقله الأستاذ نذير حمدان ، في كتابه : الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين (ص:٣٨) .

المطلب الثاني : دعوى انشغاله ﷺ بالنساء ، والرد عليها ، وفيه فرعان

الفرع الأول : مسألة عدد زوجاته ﷺ .

خاض المستشرقون في أمر تعدد زوجات النبي ﷺ وشنَّعوا به ، ووصفوه بأشنع العبارات التي لا تليق به ﷺ حاشاه بأبي هو وأمي ، وكانت ادعاءاتهم كلها متمثلة في نقاط يمكن بيانها كالآتي :

- افتراؤهم بأن النبي ﷺ كان مفرِطاً في أمر زواجه بعدد كبير من النساء ، رغم أن أمر تعدد الزوجات كان شائعاً قبل الإسلام ، ومنهم المستشرق ألويس شبرنجر (ت١٨٩٣م) في كتابه " حياة محمد وثقافته " حيث قال : (برغم أن تعدد الزوجات بين العرب قبل محمد كان شائعاً ؛ إلا أن الإفراط فيه كان يُعدُّ غير أخلاقي)[١].

وأيده المستشرق تور أندريه (ت١٩٤٧م) في كتابه " محمد حياته ومذهبه " حيث قال : (إن السمة التي نفَّرت المسيحيين الغربيين من سلوك محمد هي بلا أدنى شك إفراطه الجنسي ، وافتقاده لضبط نفسه ، والسيطرة عليها في هذا الشأن ... لذلك فإن يهود المدينة وجدوا أن سلوك محمد في هذه النقطة مُصدِم ، وقالوا يا له من نبي غريب ذلك الذي لا يُفكِّر إلا في الزواج)[٢].

افتراؤهم أن النبي ﷺ أباح لنفسه ذلك العدد من الزوجات ، بينما كان المباح لغيره من الرجال المسلمين أربع زوجات فقط ، ثم أيَّد فعله هذا بآية الأحزاب، وهي قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ

(١) نقله عنه د. عبدالرحمن بدوي في كتابه " دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره (ص:٧٢) .

(٢) نقله عنه د. عبدالرحمن بدوي في كتابه " دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره (ص:٧٣) .

وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ ...الآية" الأحزاب:٥٠ ، وأنه قال في الحديث الصحيح : ((حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))[(١)]، قال المستشرق شبرنجر في كتابه " حياة محمد وثقافته": (.. ولذلك وجد محمد أنه لابد أن يُهدِّئ الرأي العام بوحي خاص فلقد أباح الله له في الآية ٤٩ من سورة الأحزاب؛ الحرية المطلقة في عدد واختيار الزوجات أكثر من بقية الرجال ، وقد أراد المسلمون أن يبرروا ذلك وقد استلزم ذلك منهم بعض الصعوبات) ، إلى أن قال : (ولذلك فإن الهدف الوحيد من وراء الإفراط في عدد الزوجات هو ما أوضحه محمد بنفسه في حديث صحيح حيث يقول : "حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة "، ويضيف المسلمون أن النبي ﷺ كان مكلفاً بمهمة شاقة ، وأن الله عوضه عن ذلك بالمتعة الجنسية ،ولهذا فقد كانت قوته الجنسية أكثر من قوة ثلاثين رجلاً مجتمعين)[(٢)].

وأيده المستشرق فرانتس بول (ت١٩٣٢م) حيث قال : (إن محمداً يبدو لنا بصورة مثيرة للاشمئزاز حين يجعل الوحي في خدمة شبقه الجنسي ، ومحاولة نفي التهمة عنه هو مشروع جريء لكنه بلا أمل)، ويقول: (لقد ذكرنا أنه منذ وقت مبكر تزوج خديجة ولم يتزوج بامرأة أخرى طوال حياة خديجة ، ولكن بعد موتها تزوج من جديد ومن ذلك الحين لم يكف عدد نسائه عن الزيادة ... فسمح لنفسه دون الباقين بنكاح من شاء من النساء حسب الرخصة الإلهية المذكورة في آية "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، كتاب النكاح (٢/ ١٧٤) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخرِّجاه ، حديث رقم (٢٦٧٦) ، وقال الذهبي في التلخيص : (على شرط مسلم) .

(٢) نقله عنه د. عبدالرحمن بدوي في كتابه " دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره (ص:٧٢) .

يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ ... الآية" الأحزاب: ٥٠)(١).

الرد على الشبهة

١. أن سنَّة التعدد كانت معروفة بين الأنبياء قبل النبي ﷺ ، ومنهم داود عليه السلام وسليمان عليه السلام وغيرهم من الأنبياء ، قال تعالى : "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً" الرعد:٣٨ ، وورد في الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ، يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ))(٢).

٢. بُعِث النبي ﷺ في بيئة تعترف بالتعدد ولا تُقيده ، واستمر الأمر كذلك إلى أن جاء الأمر بالاقتصار على أربع نسوة ، وكان ذلك بعد السنة السابعة للهجرة(٣)

---

(١) نقله عنه د. عبدالرحمن بدوي في كتابه " دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره (ص:٧٣) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٢) ، كتاب الجهاد والسير ، باب من طلب الولد للجهاد ، حديث رقم (٢٦٦٤).

(٣) قال الزركشي رحمه الله في "البرهان" (١/١٩٤) : (أَوَّلُ مَا نَزَلَ في المدينة : سُورَةُ الْبَقَرَةِ ثُمَّ الْأَنْفَالِ ثُمَّ آلِ عِمْرَانَ ثُمَّ الْأَحْزَابِ ثُمَّ الْمُمْتَحِنَةِ ثُمَّ النِّسَاءِ) وينظر : التحرير والتنوير (٤/٢١١) ، ونزلت الممتحنة بعد الحديبية ، كما في البخاري (٢٧١١) ، وكانت الحديبية سنة ست ، ينظر: زاد المعاد (٨٦/٢) ، تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٧) ، وتزوج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها – وهي آخر من تزوج بها – بمكة بعد عمرة القضاء ، بعد أن حل منها ، كما في زاد المعاد (١/١٠٩) ، وعمرة القضاء كانت في أواخر سنة سبع ، في ذي القعدة منها ، كما في تفسير ابن كثير (١/

، أي : بعد أن تزوج النبي ﷺ جميع زوجاته وكانت آخرهن ميمونة – رضي اله عنها –، فكان الأمر للمسلمين بالاقتصار على أربع زوجات وتسريح الباقي ، فقد أمر النبي ﷺ غيلان بن سلمة ﷺ عندما أسلم وتحته عشر نسوة فقال : ((اختر منهن أربعاً))[1]، وبقاء النبي ﷺ على زوجاته التسع هو من خصوصياته عليه السلام .

٣. أن خصوصية النبي ﷺ في تعدد زوجاته اللاتي تزوجهن بأنه لا يحل له النساء بعدهن ، فإذا ماتت إحداهن لا يحل له أن يأت بواحدة غيرها ، ودليل ذلك قوله تعالى: "لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ" الأحزاب:٥٢ ، قال ابن كثير – رحمه الله – (ت٧٧٤هـ): (ذكر غير واحد من العلماء – كابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وابن جرير، وغيرهم – أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضاً عنهن ، على حسن صنيعهن في اختيارهن

---

٥٣١) وغيره ، وكان ابتداء نزول سورة النساء أوائل سنة سبع على الراجح ، قال ابن= =عاشور رحمه الله : (نزلت سُورَةُ النِّسَاءِ بَعْدَ وَقْعَةِ الْأَحْزَابِ الَّتِي هِيَ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ أَوْ أَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَبَعْدَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ الَّذِي هُوَ فِي سَنَةِ سِتٍّ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ آيَةَ : (وَآتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ) نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنْ غَطَفَانَ لَهُ ابْنُ أَخٍ لَهُ يَتِيمٌ ، وَغَطَفَانُ أَسْلَمُوا بَعْدَ وَقْعَةِ الْأَحْزَابِ ، إِذْ هُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَحْزَابِ ، أَيْ بَعْدَ سَنَةِ خَمْسٍ ... وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ آلِ عِمْرَانَ ، لِأَنَّ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ مِنْ تَفَاصِيلِ الْأَحْكَامِ مَا شَأْنُهُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ، وَانْتِظَامِ أَحْوَالِهِمْ وَأَمْنِهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ. وَفِيهَا آيَةُ التَّيَمُّمِ، وَالتَّيَمُّمُ شرع يَوْم غزاة الْمُرَيْسِيعِ سَنَةَ خَمْسٍ ، وَقِيلَ : سَنَةَ سِتٍّ. فَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ نُزُولَ سُورَةِ النِّسَاءِ كَانَ فِي حُدُودِ سَنَةِ سَبْعٍ) ، فيترجح بذلك زواج النبي ﷺ من ميمونة رضي الله عنها بعد نزول هذه آية النساء ، ينظر : التحرير والتنوير (٢١٢/٤).

(١) رواه أحمد في مسنده ، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، حديث رقم (٥٠٢٧) ، ورواه ابن ماجه في سننه (١٣١/٣) ، باب الرجل يسلم وعند أكثر من أربع نسوة ، حديث رقم (١٩٥٣) ، وابن حبان في صحيحه (٤٦٥/٩) حديث رقم (٤١٥٧) ، وصححه الألباني .

الله ورسوله والدار الآخرة ، لما خيرهن رسول الله ﷺ ، كما تقدم في الآية ، فلما اخترن رسول الله ﷺ ، كان جزاؤهن أن الله قصره عليهن ، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن ، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن ، ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية ، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة للرسول ﷺ عليهن)[١]، وعلى كلا القولين ففي ذلك تبرئة للنبي ﷺ من اتهامه بالشهوانية أو افتقاده لضبط نفسه والسيطرة عليها في هذا الشأن ، فإذا كانت الآية منسوخة وكان النبي ﷺ قد أُحِلَّ له الزواج بغير زوجاته ؛ فهو لم يتزوج ، فأين الشهوانية وغيرها من الافتراءات في إعراضه عن الزواج بعد أن أحله الله له؟! ، وإذا كانت الآية غير منسوخة فلا يحل له عليه السلام الزواج بغير هؤلاء الزوجات .

٤. أن النبي ﷺ تزوج خديجة –رضي الله عنها– وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وكانت ثيباً في الأربعين من عمرها ، ولم يعرِف النبي ﷺ النساء قبلها ، وعاش معها خمساً وعشرين سنة ولم يتزوج معها امرأة أخرى – وهو من أجَلِّ قريش نسباً ومكانة – .

٥. لم يُعدد رسول الله ﷺ زوجاته إلا بعد أن جاوز من العمر الخمسين ، كما أن جميع زوجاته الطاهرات ثيبات وأرامل ، ولم يتزوج بكراً سوى عائشة رضي الله عنها [٢]، كما أن الفترة التي عدد فيها النبي ﷺ زوجاته كانت ما بين السنة الثالثة للهجرة والسنة الثامنة ، وهذه الفترة كانت فترة حروب بين المسلمين

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٤٧) .

(٢) ينظر : شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ (ص:١٠) .

والمشركين التي اختل معها التوازن بين عدد الذكور والإناث ، وازدادت الحاجة لرعاية الأرامل والأيتام[١] .

٦. أن في زواجه عليه السلام من الأرملة والمطلقة والبكر والثيب ، والصغيرة والكبيرة ، توضيحاً لهدي النبوة في تعامل الأزواج مع زوجاتهم ، وقد نقلت زوجاته ﷺ للناس الكثير من أحواله الخاصة التي لا يمكن لأحد الاطلاع عليها إلا أهل بيته عليه السلام ، نقل السيوطي – رحمه الله – (ت٩١١هـ) عن الشيخ تقي الدين السبكي – رحمه الله – (ت٧٥٦هـ) السر في إباحة نكاح أكثر من أربع لرسول الله ﷺ قال: (إن الله تعالى أراد نقل بواطن الشريعة وظواهرها وما يستحيى من ذكره ومالا يستحيى منه ، وكان رسول الله ﷺ أشد الناس حياء ، فجعل الله تعالى له نسوة ينقلن من الشرع ما يرينه من أفعاله ، ويسمعنه من أقواله التي قد يستحي من الإفصاح بها بحضرة الرجال؛ ليتكمل نقل الشريعة ، وكثر عدد النساء ليكثر الناقلون لهذا النوع ومنهن عُرِف مسائل الغسل والحيض والعدة ونحوها ، قال ولم يكن ذلك لشهوة منه في النكاح ولا كان يحب الوطء للذة البشرية –معاذ الله– وإنما حبب إليه النساء لنقلهن عنه ما يستحي هو من الإمعان في التلفظ به فأحبهن لما فيه من الإعانة على نقل الشريعة في هذه الأبواب ، وأيضا فقد نقلن ما لم ينقله غيرهن مما رأينه في منامه ، وحالة خلوته من الآيات البينات على نبوته، ومن جده واجتهاده في العبادة ، ومن أمور يشهد كل ذي لب أنها لا تكون إلا لنبي ، وما كان يشاهدها غيرهن فحصل بذلك خير عظيم)[٢].

٧. كما أن زواجه عليه الصلاة والسلام لكل واحدة من زوجاته رضوان الله عليهن لحكمة أرادها الله عز وجل ، إما مواساة لأرملة عاشت مؤمنة بين المشركين

---

(١) ينظر : السيرة النبوية وأوهام المستشرقين (ص:١٥٥) .

(٢) حاشية السيوطي على سنن النسائي (٦٤/٧) .

كزواجه عليه السلام من سودة بنت زمعة رضي الله عنها[١]، وزواجه بأم سلمة رضي الله عنها بعد أن قتل زوجها وعندها أولاد صغار ، فعاشوا في كنف رسول الله ﷺ ولم يشعروا بذل اليتم ومرارة الحاجة[٢]، أو لاستئلاف قومها كما في زواجه من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها [٣]، أو لتوثيق العلاقة بينه وبين أشرف القبائل كزواجه بميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها[٤] .

٨. يُردُّ على استشهادهم على دعواهم بحديث النبي ﷺ : ((حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))[٥] ، وقولهم بأنه عليه السلام أُعطي طاقة ثلاثين رجل من وجهين :

- أن النبي ﷺ أعطي قوة جسدية تتناسب مع ثقل نزول الوحي عليه ﷺ ، قال الله تعالى: "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝" المزمل :٥ ، وروى البخاري –ر حمه الله – عن زَيْد بْنِ ثَابِتٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ : "لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ" النساء: ٩٥ ، قَالَ : فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ – وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى – فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي ، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ

(١) ينظر : حياة محمد ﷺ (ص:٢٠٥) .

(٢) ينظر : السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢٤٨/٢) .

(٣) ينظر : سيرة ابن هشام (٢٩٥/٢) .

(٤) ينظر : السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٣٠٧/٢) .

(٥) سبق تخريجه (ص:٢٤) .

عَزَّ وَجَلَّ: "غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ" النساء: ٩٥[١]، وقد ظهرت قوته ﷺ الجسدية في كثير من المواقف في حياته ﷺ ، منها ما رواه جَابِر ﷺ ، قَالَ: ((إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: ((أَنَا نَازِلٌ)) ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ[٢] ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ...))[٣] الحديث ، ومنها أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يحتمون برسول الله ﷺ في الغزوات فعن البراء ﷺ قال : ((كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ))[٤] ، وكان لا بد من ظهور هذه القوة في معاشرته لزوجاته ، وبالتالي في رغبته ﷺ فيهن ، ومن هنا جاء الربط بين قوة النبي ﷺ الجسدية وقوته في الجماع ، ففي الحديث عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الوَاحِدَةِ، مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ)) قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوَ كَانَ يُطِيقُهُ؟ قَالَ:

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٢٥) ، كتاب الجهاد والسير ، باب قول الله تعالى : "لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ" النساء : ٩٥ ، إلى قوله تعالى: "وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا" النساء:٩٩ ، حديث رقم (٢٨٣٢) .

(٢) الكَثِيب قِطعَة من الرمل محدودبة والأهيل هُوَ السَّائِل، ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٣٧٣).

(٣) صحيح البخاري (٥/ ١٠٨) ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب ، حديث رقم (٤١٠١) .

(٤) قطعة من حديث رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٠١) ، كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين، حديث رقم (١٧٧٦) .

كُنَّا نَتَحَدَّثُ ((أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاَثِينَ)) وَقَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ إِنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ ((تِسْعُ نِسْوَةٍ))[١].

- أن من كمال شخصيته البشرية عليه الصلاة والسلام هو اجتماع القوة مع الرغبة التي لا تؤثر على عبوديته لله عز وجل ، وقد كانت عبادته ﷺ لربه مقدمة على ما حبب إليه من النساء بدليل قوله عليه السلام في نفس الحديث: ((وجعلت قرة عيني في الصلاة))، وكضرورة للتعدد أوتي النبي ﷺ هذه القوة لأداء حقوقهن كزوجات ، فقد جاء في الحديث الصحيح ((... وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ))[٢]، والناظر في سيرة النبي ﷺ يجد أنه قد عاش حياته الأسرية تامَّة كاملة، بل هي مثال يُحتذي، ونموذجٌ يُؤتسى، كما أنه عاش حياته كنبي كريم عابد لربه، ولم يطغ جانب على آخر.
- أنه ﷺ أوتي من كريم الأخلاق ما استطاع به عشرة هذا العدد من النساء ، والصبر على ما يكون بنهن من أمور الضرائر ، قال الماتريدي – رحمه الله – (ت٣٣٣هـ) : (أن الله آتاه من الأخلاق الحميدة والشمائل المرضية ما خف بها عليه مؤنة النساء ، وسهل عليه المعاملة مع الجملة ، وآتاه من القوة ما ملك بها حفظ حقوقهن وإرضاء جملتهن ، حتى بلغ في حسن العشرة وابتغاء المرضاة ما عوتب عليه ، وبلغ من جهده في الإسلام إلى أن قيل: (عَبَسَ وَتَوَلَّى)، وبلغ في الشفقة والرحمة على الأمة إلى أن قيل له:

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٦٢)، كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد ، ومن دار على نسائه في غسل واحد، حديث رقم (٢٦٨).

(٢) هذا قطعة من حديث رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٩٧) ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، حديث رقم (١٠٠٦) .

(فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ)، وقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، وكان من عظيم خلقه ما جاوز خلقه قوة نفسه، فكادت نفسه تهلك فيه)[١].

الفرع الثاني : زواجه ﷺ بعائشة رضي الله عنها وهي صغيرة السن .

وهذه الشبهة حديثة نسبياً فرغم تهجم المستشرقين المتواصل على الإسلام إلا أنهم لم ينتقدوا النبي ﷺ لزواجه من عائشة –رضي الله عنها – بل كانوا ينتقدونه بسبب تعدد الزوجات ، وترمي هذه الشبهة إلى وصف هذا الزواج بالشهواني نتيجة زواج النبي ﷺ وهو في سن الخمسين من عائشة –رضي الله عنها– وهي في سن التاسعة من عمرها .

الرد على الشبهة :

أولاً : الرد على مسألة صغر سن عائشة رضي الله عنها من وجهين :

- من جهة أن النبي ﷺ وعائشة رضي الله عنها من مجتمع عربي يسكن جزيرة العرب وهي من المناطق الحارة ، وفي هذه المناطق الحارة يكون البلوغ عند البنات في سن مبكرة ، كما يكون الزواج أيضاً في البلاد الحارة في سن مبكرة ، وعليه فإن زواج النبي ﷺ من عائشة –رضي الله عنها– لم يكن أمراً مستنكراً ، ولم ينكر عليه أحد ذلك ، حتى كفار قريش الذين طعنوا فيما جاء به من الدعوة وحاربوه وافتروا عليه الافتراءات الباطلة ، ولكن هذا الزواج لم يكن مستغرباً عندهم ولم يطعن فيه أو ينكره عليه .
- أن صغر سنها –رضي الله عنها – يجعلها أفرغ بالاً وأشد استعداداً لتلقي العلم ، والذي تعلمته من عشرتها مع النبي ﷺ ،وخاصة الأمور الدينية المتعلقة بالنساء فقد كن النساء يأتين يسألن النبي ﷺ عن أمور دينهن ، وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺعَنْ غُسْلِهَا مِنَ المَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قَالَ: ((خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ، فَتَطَهَّرِي بِهَا)) قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٧٩) .

قَالَ: ((تَطَهَّرِي بِهَا))، قَالَتْ: كَيْفَ؟، قَالَ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِي)) فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ))[١].

ثانياً : الرد على أنه ﷺ تزوج بكراً ، من وجوه :

أن النبي ﷺ حزن حزناً شديدا على وفاة خديجة رضي الله عنها إذ كانت تؤويه وتقف إلى جانبه وتؤيده وتنصره ، حتى إن ذلك العام سُمِّي بعام الحزن ، ثم تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة – رضي الله عنها – وكانت أرملة مسنة ؛ تزوجها ﷺ مواساة لها إذ توفي زوجها وهي مؤمنة بين قوم مشركين ، وبعدها بأربع سنين تزوج عائشة –رضي الله عنها–[٢] ، ,كان في زواجه ﷺ منها حِكَمٌ عظيمة بينها العلماء منها :

- **أن زواج النبي ﷺ بعائشة – رضي الله عنها – هو بوحي من الله عز وجل، فقد روى البخاري – رحمه الله – (ت٢٥٦هـ) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: ((أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ[٣] مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَاكْشِفْ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ[٤]))[٥]، وفي قوله ﷺ ((إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ)) قال القسطلاني – رحمه الله – (ت٩٢٣هـ) : (فإن قلت: رؤيا الأنبياء وحي فما معنى قوله إن يكن؟ أجيب: باحتمال أن تكون هذه الرؤيا**

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٧٠)، كتاب الحيض، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل، وتأخذ فرصة ممسكة وتتبع أثر الدم، حديث رقم (٣١٤) .

(٢) ينظر: فتح الباري (٧/٢٢٥) .

(٣) سَرَقَة بفتح المهملة والراء والقاف ، أي : قطعة ، ينظر : فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٢٤) ، عمدة القاري (١٧/٣٥) .

(٤) قال العيني – رحمه الله – : (يمضه : بِضَم الْيَاء من الْإِمْضَاء، وَهُوَ الإنفاذ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/ ٧٥) .

(٥) صحيح البخاري (٥/ ٥٦)، كتاب مناقب الأنصار ، باب تزوج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبناؤه بها، حديث رقم (٣٨٩٥) .

قبل النبوة وبعدها فعلى الأول لا إشكال، وعلى الثاني فلها ثلاثة أوجه : أن تكون على ظاهرها فلا تحتاج إلى تعبير فسيمضيها الله تعالى وينجزها ، أو تحتاج إلى تعبير وتفسير وصرف عن ظاهرها ... فالشك عائد إلى أنها على ظاهرها ، أو تحتاج إلى تعبير أو المراد إن كانت هذه الزوجية في الدنيا أو في الآخرة ، أو لم يشك ولكن أخبر على التحقيق وأتى بصورة الشك وهذا نوع من أنواع البلاغة يسمى مزج الشك باليقين)[١] وعلى كلا القولين : فإن كانت الرؤيا قبل النبوة فيحتمل أنها من بدايات الوحي – أي الرؤيا الصالحة – ، وإن كانت بعد النبوة فهي من وحي الله تعالى له عليه السلام.

- أن عائشة – رضي الله عنها – عرفت بالذكاء والفطنة وسرعة البديهة ، وكانت ذات حافظة قوية، وقد حفظت عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث ، ونقلت عنه عليه الصلاة والسلام كثير من أحواله الشخصية، كما أن صغر سنها كان له الأثر الكبير في نقل سنة النبي ﷺ لمدة طويلة بعد وفاته عليه السلام، قال ابن حجر – رحمه الله – (ت٨٥٢هـ): (مات النبي ﷺ ولها نحو ثمانية عشر عاماً وقد حفظت عنه شيئا كثيراً وعاشت بعده قريباً من خمسين سنة، فأكثر الناس الأخذَ عنها، ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئاً كثيراً، حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها رضي الله عنها)[٢].
- محبة النبي ﷺ لأبيها أبي بكر ﷺ فقد كان أكثر الناس إيماناً، ويقيناً بصدق النبي عليه السلام .

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨/ ١٣)، وينظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٣٤/٩) .

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٠٧) .

المطلب الثالث : دعوى نفي الأمية عنه ﷺ ، والرد عليها .

عني المستشرقون اعتناء خاصاً بمسألة نفي الأمية عن النبي ﷺ حتى إنه من النادر ألا يعرض إليها أحد منهم ، وذهب الجمهور من المستشرقين إلى تأكيد علمه ﷺ بالقراءة والكتابة قبل الوحي(١)، وغرضهم من ذلك نفي كونه ﷺ جاء بمعجزة القرآن ، وادعاء أنه عليه السلام تلقاه من أهل الكتاب.

واستدلوا على دعواهم هذه بعدة أمور هي كالآتي:

- أن النبي ﷺ اشتغل بالتجارة كما هي حال كثير من أهل جزيرة العرب ، وهذا الشغل يستلزم أن يكون عالماً بالقراءة والكتابة ، وممن يقول بذلك المستشرق وليام منتغمري وات (ت٢٠٠٦م) حيث قال: (إن الإسلام التقليدي يقول بأن محمداً لم يقرأ ولم يكتب ،ولكن هذا الزعم مما يرتاب في الباحث الغربي الحديث ، لأنه يقال لتأكيد الاعتقاد بأن إخراجه للقرآن كان معجزاً ، وبالعكس فلقد كان كثير من المكيين يقرؤون ويكتبون ، ولذلك يُفترض أن تاجراً ناجحاً كمحمد لا بد أن يكون قد عرف شيئاً من هذه الفنون)(٢) .
- كما استدل بروايات بدء الوحي المروية في صحيح البخاري ومسلم ، واستنتج منها ما أكد – حسب ظنه – به دعواه قال : (تتضمن الرواية المتعلقة بسورة العلق عدة أشكال ... ويجب تفسير قول محمد " ما أقرأ " في رده على الملك " اقرأ " بـ "لا أستطيع القراءة" أو "التلاوة"، يتضح لنا من ذلك وجود رواية عند البخاري تقول " ما أنا بقارئ " ، وفي التمييز عند ابن هشام "ما أقرأ" و "ماذا أقرأ" حيث التعبير الثاني لا يمكن أن يعني إلا " ماذا أتلو " وهذا هو المعنى الطبيعي لقوله "ما أقرأ" ، ويبدو من المؤكد تقريباً أن المفسرين التقليديين اللاحقين تجنبوا المعنى الطبيعي لهذه الكلمات ليجدوا أساساً

---

(١) ينظر : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر (ص:٣٩٠) .

(٢) نقله عنه د.عبد الله النعيمي في كتابه " الاستشراق في السيرة النبوية – دراسة تاريخية– " (ص:٦٣) .

للعقيدة التي تريد أن محمداً لم يكن يعرف الكتابة وهذا عنصر رئيس للتدليل على طبيعة القرآن المعجزة)[١] .

- كما استدلوا على دعواهم أيضاً بأن النبي ﷺ كان بحاجة لتكرار قراءة كتابه – يقصدون القرآن – حتى يستوثق من حفظه ، وممن قال بذلك المستشرق الأمريكي فرانك فوستر (ت٢٠١١م) في كتابه " تاريخ حياة محمد " فقال : (لم يكن محمد أمياً لأنه كان في حاجة لأن يكرر قراءة كتابه ليستظهره ويستوثق من حفظه) [٢] .
- استدلوا بحديث النبي ﷺ وقت احتضاره حين طلب أن يكتب كتاباً للمسلمين فتنازعوا عنده عليه السلام فلم يكتب ، وقد روى البخاري – رحمه الله – عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْمُ الخَمِيسِ، وَمَا يَوْمُ الخَمِيسِ؟ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: ((ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا))، فَتَنَازَعُوا وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ، أَهَجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ؟ فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ((دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ))[٣].

الرد على الشبهة :

يُرد على هذه الشبهة من وجوه، هي :

١. أنه لا يلزم من شيوع الكتابة في بلد أن يكون جميع أهله متعلمين ، وعليه فيكون قولهم هذا من باب الاحتمال وليس مؤكداً، ولكن المؤكد أنه ليس هناك أي دليل علمي على شيوع التعلم في أهل الحجاز ، بل المؤكد أن تعلم القراءة والكتابة لم يكن شائعاً بينهم، ولم يكن بالأمر المقصود لذاته إذ إن المعول عليه هو حفظ الصدور[٤] .

---

(١) نقله عنه د. خضر شايب ، في كتابه : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر (ص:٣٩١) .

(٢) نقله عنه عبد المتعال محمد الجبري ، في كتاب : السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، (ص:١٥٠) .

(٣) صحيح البخاري (٦/ ٩) ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، حديث رقم (٤٤٣١) .

(٤) ينظر : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر (ص:٣٩٦) .

٢. أن المشتغلين بالتجارة في ذلك الوقت لم يحتاجوا للكتابة في تجارتهم، فغاية الواحد منهم المتاجرة بأمواله وأموال بعض المضاربين، ولم ترو المصادر التاريخية رواية عن معاملة تجارية تمت بواسطة التدوين ، وعلى هذا الكلام فلم يكن من الضروري تعلم النبي ﷺ للقراءة والكتابة لتيسير أمور تجارته[١] .

٣. أن الروايات التاريخية أثبتت وجود من تعلم القراءة والكتابة في الحجاز ولكن عددهم كان قليلاً حين دخول الإسلام ، فقد عدَّ ابن قتيبة – رحمه الله – في كتابه تأويل مختلف الحديث عدد الكاتبين في مكة والمدينة عند دخول الإسلام ؛ فقال : (دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب)[٢] ، وقال عن الكتابة في المدينة : (بل إن الإسلام جاء وفيهم عدة يكتبون) وعد منهم أحد عشر كاتباً[٣] .

٤. أن الوحي ظل يتنزل على النبي ﷺ مدة ثلاث وعشرين سنة ، ولم يثبت عنه ﷺ أنه كتب شيئاً بيده بل كان له كُتَّاباً يكتبون الوحي كزيد بن ثابت ﷺ ، كما أنه عليه السلام اتخذ كُتَّاباً لتدوين مراسلاته للدول والملوك المحيطة بجزيرة العرب ، ويكتبون له العهود والمواثيق مع الأمراء والحُكام ، ولم تُنقل أي رواية بأنه عليه الصلاة والسلام تولى أمر الكتابة بنفسه ، ومن ذلك ما رواه البخاري – رحمه الله – عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ)) قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ

---

(١) ينظر : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر (ص:٣٩٦) .

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، (ص٣٦٦) .

(٣) ينظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، (ص٣٦٦) .

...))[1] الحديث ، وكان من دأب النبي ﷺ أن يدعو من يكتب له لأنه كان لا يُحسن الكتابة ، وكتب التاريخ شاهدة على هذا .

٥. أن الأحاديث التي روي فيها عن النبي ﷺ أنه كتب في بعض الوقائع المراد منها كُتَّابه وليس هوﷺ ، ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري – رحمه الله – في صلح الحديبية عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي القَعْدَةِ، فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ، حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الكِتَابَ، كَتَبُوا: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، قَالُوا: لاَ نُقِرُّ لَكَ بِهَذَا، لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا مَنَعْنَاكَ شَيْئًا، وَلَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ»، ثُمَّ قَالَ: لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «امْحُ رَسُولَ اللَّهِ»، قَالَ عَلِيٌّ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَمْحُوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكِتَابَ، وَلَيْسَ يُحْسِنُ يَكْتُبُ، فَكَتَبَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ...))[2] الحديث ، قال الراوي (وليس يُحسن يكتب) فدل على أن مراد الرواة حين يقول " فكتب " أي كُتَّابه الذين يكتبون له عليه السلام .

٦. ويُرد زعمهم أن النبي ﷺ يكتب حين دعا بالدواة ليكتب لهم عند احتضاره أن قوله عليه السلام : ((أكتب)) لا يدل معناه على أنه سيكتب بنفسه بل الدليل السابق في قول الصحابي (وكان لا يحسن يكتب) مبين لمعنى قوله ﷺ ((أكتب)) أي : يُكتب لكم ما أمليه أنا ﷺ[3]، وأما قول الرواة عن النبي ﷺ : ((فكتب)) ، فهذا أسلوب في البلاغة تستعمله العرب ويسميه أهل البلاغة "المجاز العقلي" ، ومثاله قولهم : بنى الأمير القصر ، فالذي بنى

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٩٥) ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، حديث رقم (٢٧٣١) .

(٢) صحيح البخاري (٥/ ١٤١) ، كتاب المغازي ، باب عمرة القضاء ، حديث رقم (٤٢٥١).

(٣) ينظر : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر (ص:٣٩٩) .

حقيقة هم البنَّاؤون وليس الأمير ، وإنما أضيف الفعل إلى الأمير مجازاً لأنه هو الذي أمر ببنائه فنُزِّلَ منزلة الفاعل[١] ، وهكذا الحال هنا في هذه الرواية فالرواة أضافوا الفعل للنبي ﷺ مجازاً لأنه هو الآمر به مع أن الحقيقة أن الكُتَّاب هم الذين كتبوا بقرينة قول الرواة (وكان لا يُحسن يكتب).

٧. كذلك يُرَدُّ استشهادهم بحديث بدء الوحي أن المنهج المتبع في الاستدلال به قاصر تماماً ، فقد جعل "وات" معنى قول النبي ﷺ " ما أقرأ " أو " ماذا أقرأ " أنه يستفهم ماذا يقرأ ، ولم يجعل معناه النفي الذي يدل على أمية النبي عليه السلام ، كما أنه اقتطع من رواية السيرة قول النبي ﷺ بعدها : ((ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي))[٢] والذي يبين فيه عليه السلام أنه لا يُحسن القراءة ، كذلك فهو لم يعط قيمة لرواية البخاري – رحمه الله – التي فيها قول النبي ﷺ : ((ما أنا بقارئ)) والتي تفيد النفي صراحة .

(١) ينظر : البلاغة الواضحة (ص/١٠٧) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/٢٣٧) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

فقد كان من فضل الله علي أن أتممت هذا البحث ، فما فيه من صواب فمن فضل الله وكرمه، وما فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وقد توصلت من خلال بحثي هذا إلى جملة من النتائج، كان من أهمها:

- أن مكانة النبي ﷺ محفوظة في نفوس المسلمين عامة، ولا يؤثر فيها مطاعن وافتراءات الأعداء من مستشرقين وغيرهم .
- أن شخصية النبي ﷺ شخصية مميزة على مر التاريخ، وصفاته وأخلاقه ﷺ عظيمة يشهد لها أعداؤه قديماً وحديثاً.
- أن الدفاع عن شخصية النبي ﷺ هو دفاع السنَّة التي هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.
- أن حرص المستشرقين على الافتراء على شخصية النبي ﷺ للتشكيك في الذي جاء بهذا الدين عليه السلام ، وبالتالي التشكيك في صحة الإسلام .
- أن من المستشرقين من تجلت له عظمة شخصية النبي ﷺ من خلال بحوثهم ودراستهم لها وأثنى على أخلاقة وحكمته، غير أن عباراتهم بالثناء على شخصيته عليه السلام كانت مقتضبة جداً.

هذا ما تيسر لي جمعه في هذا البحث المبارك، والله تعالى أسأل أن يغفر لي تقصيري في جانب البحث، ويتجاوز عن ذنوبي وإسرافي في أمري، وأن يجزل لشيخنا الفاضل الأستاذ الدكتور: محمد عويضة – حفظه الله – عظيم الأجر والمثوبة على ما قدَّم لنا في هذه المادة الطيبة من العلم النافع ، ويغفر لنا وله إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصل اللهم وبارك على نبينا وسيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

فهرس المصادر والمراجع

١ الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما
المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)
دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش
الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان
الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٢ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان
المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)
ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط
الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٣ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري
المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)
الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر
الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

٤ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم
المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)
الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٥ الاستشراق في السيرة النبوية " دراسة تاريخية "
المؤلف : عبد الله محمد الأمين النعيم
الناشر : المعهد العالمي للفكر الإسلامي
الطبعة : سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
٦ الاستشراق وموقفه من السنة النبوية
المؤلف : أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير .
الناشر : المكتبة الشاملة .
٧ بحر العلوم
المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)
الناشر : المكتبة الشاملة .
٨ البحر المحيط في التفسير
المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)
المحقق: صدقي محمد جميل
الناشر: دار الفكر – بيروت
الطبعة: ١٤٢٠ هـ
٩ البرهان في علوم القرآن
المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)
المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم
الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م
٠ البلاغة الواضحة " البيان والمعاني والبديع "
المؤلف : علي الجارم ، مصطفى أمين

الناشر : المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان
الطبعة :الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

١ تفسير القرآن العظيم
المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)
المحقق: سامي بن محمد سلامة
الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع
الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

٢ جامع البيان في تأويل القرآن
المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)
المحقق: أحمد محمد شاكر
الناشر: مؤسسة الرسالة
الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٣ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(المتوفى: ٢٥٦هـ)
المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر
الناشر: دار طوق النجاة
الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٤ الجامع لأحكام القرآن
المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)
تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش

الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة
الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م
٥ حاشية السيوطي على سنن النسائي
المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)
الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب
الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م
٦ حياة محمد ﷺ
المؤلف : محمد حسين هيكل .
الناشر : دار المعارف .
٧ دراسات في الاستشراق ورد شبهة المستشرقين حول الإسلام
المؤلف : د. علي بن علي شاهين
الناشر : المكتبة الشاملة
٨ دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره ,
المؤلف : د. عبد الرحمن بدوي .
الناشر : الدار العالمية للكتب والنشر .
٩ ديوان لسان الدين بن الخطيب السليماني
المؤلف : محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني الخطيب (المتوفى :١٣١٣هـ) .
جمعه وحققه وقدم له : د. محمد مفتاح
الناشر : دار الثقافة – الدار البيضاء
الطبعة : الأولى ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م .
٠ رد الشبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة
المؤلف : عماد السيد الشربيني .
الناشر : مطابع دار الصحيفة

الطبعة : الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
١ الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة
المؤلف : حسين حسيني معدي
الناشر : دار الكتاب العربي – دمشق
الطبعة : الأولى -١٤١٩هـ .
٢ الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين
المؤلف : نذير حمدان
الناشر : رابطة العالم الإسلامي .
٣ زاد المسير في علم التفسير
المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)
المحقق: عبد الرزاق المهدي
الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت
الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .
٤ زاد المعاد في هدي خير العباد
المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)
الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت
الطبعة: السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م
٥ السنَّة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق
المؤلف : أنور الجندي
الناشر : دار الأنصار بالقاهرة .
٦ سنن ابن ماجه
المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد

(المتوفى: ٢٧٣هـ)
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

٧ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة " دراسة محررة جامعة بين أصالة القديم وحداثة الجديد"
المؤلف : محمد محمد أبو شهبة
الناشر : دار القلم .

٨ السيرة النبوية لابن هشام
المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، (المتوفى: ٢١٣هـ)
تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي
الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

٩ السيرة النبوية وأوهام المستشرقين
المؤلف : عبد المتعال محمد الجبري
الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة .

٠ شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ
المؤلف : محمد علي الصابوني .
الناشر : طبع على نفقة السيد حسن عباس " وقف لله تعالى "
الطبعة : ١٤٠٠هـ .

١ شرح الشفا
المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ

٢ شرح صحيح البخاري لابن بطال

المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)

تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم

دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض

الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

٣ شعب الإيمان

المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)

حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد

الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض

الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

٤ الشفا بتعريف حقوق المصطفى

المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)

الناشر: دار الفيحاء – عمان

الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ

٥ صحيح الجامع الصغير وزياداته

المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)

الناشر: المكتب الإسلامي

٦ عمدة القاري شرح صحيح البخاري

المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)

الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٧ غريب الحديث

المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)

المحقق: د. عبد الله الجبوري

الناشر: مطبعة العاني – بغداد

الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ .

٨ الفتاوى المستغربة

المؤلف : أبو سعيد صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي الشافعي (المتوفى : ٧٦١هـ)

تحقيق : عبد الجواد حمام

الناشر : دار النوادر

الطبعة : الأولى ١٤٣١هـ–٢٠١٠م .

٩ فتح الباري شرح صحيح البخاري

المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي

الناشر: دار المعرفة – بيروت.

الطبعة : سنة ١٣٧٩هـ .

٠ فيض القدير شرح الجامع الصغير

المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)

الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر

الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

١ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار

المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)
المحقق: كمال يوسف الحوت
الناشر: مكتبة الرشد – الرياض
الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)
المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد
الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

٣ المستدرك على الصحيحين
المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)
تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا
الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م

٤ مسند الإمام أحمد بن حنبل
المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)
المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون
إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي
الناشر: مؤسسة الرسالة

الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٥ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)

المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي

الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٦ معالم التنزيل في تفسير القرآن

المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)

المحقق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش

الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع

الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٧ معجم البلدان

المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)

الناشر: دار صادر، بيروت

الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م .

٨ مفاتيح الغيب " التفسير الكبير "

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)

الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

٩ موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ
المؤلف : علي بن نايف الشحود
الناشر : المكتبة الشاملة .
٠ نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر
المؤلف : د. خضر الشايب
الناشر : مكتبة العبيكان .
١ النكت والعيون
المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)
المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم
الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان
٢ النهاية في غريب الحديث والأثر
المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)
تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي
الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
الطبعة : سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م